العالم الرباني سماحة الشيخ

محمد بن إبراهيم

بقلم تلميذه

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

والذي تتلمذ عليه أكثر من ربع قرن

من عام ١٣٥٧ حتى وفاة سماحته ١٣٨٩هـ

أفردها ابنه

عبد المحسن بن محمد بن قاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصـــــــحاب أجمعين.

أما بعد:

فلقد رفع الله مكانة العلمـــــــاء وأعلى مـنزلتهم واصـطفاهم ليكونـوا ورقة أنبيائه كما قال ﷺ «**وإن العلماء ورثة الأنبيــاء، وإن الأنبيـــاء لم يورثـــوا دينـــارًا ولا درهمًا، إنما ورثـوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**» رواه الترمذي.

وإن سير النبلاء من العلمـاء في الإسـلام لها أثر في نفـــوس عامة المســـلمين وفي طلبة العلم منهم, وأثر سـيرتهم يسـري في النفـــــوس مما يحـــــدو إلى اقتفـــــاء أثر المصطفى ﷺ، لذا سار السـلف على تـراجم أهل العلم للنهل من علومهم، والانتفاع من سجاياهم.

وإن سماحة الشيخ محمد بن إبـراهيم آل الشيخ رحمه الله, مفتي المملكة في زمانه

من أفـــذاذ علمـــاء الإســـلام، منحه الله الرســوخ في العلم والعمل بــه، مع الحلم والتقــوى والصــبر، ودماثة الأخلاق وحسن التعليم والنصح للأمــة، والأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وإفتـاء المســلمين وقضــاء حــوائجهم، والاهتمــام بطلبة العلم والحرص عليهم، وعفة اللسان من أعراض الآخرين، والـورع والخشـية من الله.

وإن النفوس لتتشوق للاطلاع على سيرة ذلك الإمـام العظيم، الـذي تخـرج من تحت كنفه علماء أصبحوا أعلامًا في الأمة أمثـال؛ ســماحة الشــيخ عبد العزيز بن بــاز رحمه الله.

ولقد كـــــــان الوالد رحمه الله ملازمًا لـدروس سـماحة الشـيخ محمد بن إبـراهيم رحمه الله أكـثر من ربع قــرن من الزمــان من عام 1357هــ إلى وفـاة سـماحته عـام 1389هـ ويقيد ما يسمعه من ســماحته من شــروحات وفوائد وتقريــرات، وقد أخــرج شــروحات ســماحته للمتــون؛ كشــرح متن

كشف الشبهات وآداب المشي إلى الصــلاة كما جمع فتــاواه ورســائله في أربعة عشر مجلــدًا مع الفهــارس وقد ضــمنها ترجمة مفصلة لسـماحة الشـيخ، جعلها في مقدمة فتاواه، وقد جَانَبَ في ترجمته الإفـراط في ذكر سـجاياه وخلالــه، خشـية الوقــوع في محذورِ الغلوِّ في الصالحين، فكانت معتدلــةً وافيــةً، فيها قواعد ومنــاهج يســتفيد منها المسـلم في حياتـه، وحرصًـا على اسـتفادة طلبة العلم من فوائد تلك الترجمة وطريقة تعليمه الفريــــدة، رأيت أهمية إفرادها في كتيب منفرد لتعم الفائدة منها.

أســـأل الله عز وجل أن ينفع بهـــا، وأن يغفر للمســلمين وعلمــائهم، وصــلى الله وســلم على نبينا محمد وعلى آله وصــحبه أجمعين.

أفردها ابنه عبد المحسن بن محمد بن قاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

حياة الشيخ محمد بن إبراهيم[1]

*** نسبه ومولده:**

هو العلامة الجليل الشـــــــيخ محمد يبن الشيـخ إبـراهيم بن الشـيخ عبد اللطيف بن الشـيخ عبد الـرحمن بن الشـيخ حسن بن إمـام الـدعوة محي السـنة مميت البدعة الشيـخ (محمد بن عبد الوهـاب) بن الشـيخ ســــــليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشـــرف بن عمر بن معضـــاد بن ريس بن زاخر بن محمد ابن علـــــــوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مســــعود بن عقبة بن سـنيع ابن نهشل بن شـــداد بن زهـــير بن شـهاب بن ربيعة بن أبَي سـود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن منـــاة بن تميم ثم إلى نزار بن معد بن عدنان.

ولد في مدينة الريــاض في (حي دخنــة) في 17 من محرم عام 1311هـ، بـدأ رحمه

---

[1] (?) هـذه الترجمة بتمامها في مقدمة فتـاوى ورسـائل سـماحة الشـيخ محمد بن إبـراهيم رحمه الله والـتي جمعها تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حيث تتلمذ عليه ولازمه أكثر من ربع قـرن من عام 1357 إلى حين وفاة سماحته عام 1389هـ

الله من صـــغره في ألأخذ بأســـباب العلم والمعرفــة؛ فتلقى القــرآن الكــريم وهو ما بين الثامنة والعاشرة من عمره نظرًا، على معلمه عبد الرحمن بن مفيريج.

وفي السادسة عشرة من عمـره أصـيب بالرمد في عينيه، فكُفَّ بصره, وكانت مــدة مرضه ســنة. وعلى اثر ذلك حفظ القــرآن على عبد الـــرحمن بن مفـــيريج عن ظهر قلب، وقد درس فن التجويد فيما بعد.

ثم أخذ في طلب العلم بمختلف فنونـــه؛ فأخذ علم «الفــرائض» عن والــده الشــيخ إبراهيم رحمه الله، ثم عن الشــيخ عبد الله بن راشد، ومما قرأ عليه في ذلك ألفية الفرائض.

وتلقى علم (العقائـــد) عن عمه الشـــيخ عبد الله بن عبد اللطيف رحمهما الله تعـالى، ومنها في العقائـد: كتـاب التوحيـد، وأصـول الإيمـان، وفضـائل الإسـلام للشـيخ محمد بن عبد الوهـــاب، والـــدلائل (حكم موالاة أهل الشرك) للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشـــيخ محمد بن عبد الوهـــاب، والعقيـــدة الواســـطية والعقيـــدة الحموية

وكلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وأخذ «الفقه» عن الشيخ حمد بن فارس أولاً، ثم عن الشـــيخين ســـعد بن حمد بن عــتيق، ومحمد بن محمــود المتــوفَّى عــام 1333هـ ومن كتبه (زاد المستقنع).

وأخذ علم «العربية» عن الشـيخ حمد بن فارس المذكور آنفًا، ومما قرأ عليه في هذا الفن الآجرومية، والملحة، والقطر، والللفية.

وفي «الحـــديث وعلومه» قـــرأ بلـــوغ المرام وثلث المنتقى على عمه الشـيخ عبد الله، ثم أعاد بلوغ المرام على الشيخ سـعد بن عــتيق، وعليه قــرأ أيضًــا ألفية العــراقي في مصطلح الحديث.

هــذا ومن المســتفيض أن الشــيخ رحمه الله كــان كثــير الــدأب على المطالعة في مختلف الكتب وتدريسها، فكان هذا مصـدرًا ثانيًا غنيًا لتنمية حصـــيلته العلمية وتوســـيع أفقـــه، أعانه على ذلك ما عـــرف عنه من حدة الذكاء ورجاحة العقل.

*** اشتغاله بالتدريس:**

لمس فيه مشـــايخه الألمعية النـــادرة

المبكــرة والنجابة الظــاهرة، فــأدركوا أنه الخليفة لهم الذي يمكن أن يُطمأَن إليه في مجـــالس العلم، فأوصى عمه الشـــيخ عبد الله، الملك عبد العزيز رحمه الله بابن أخيه خيرًا وذكر له ما يتمتع به من المزايا الفــذة التي لا تكاد تتوافر إلا في قليل من الرجـال الـــذين وهبهم الله ذكـــاء وفطنة وجلـــدًا وإخلاصًا.

وحين تـــوفي الشـــيخ عبد الله عـــام 1339هـــ أخذ ابن أخيه مجلســـه, فبـــدأ التدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالـوا على قيد الحياة, ولما توفي شيخه سـعد بن حمد بن عـتيق عـام 1349هــ وتـوفي قبله الشيخ حمد بن فارس عام 1345هـ , توسع في مجالس التدريس واستقل بأكثرها، إلى جــانب أعمامه رحمهم اللــه, وغــيرهم من أفاضل العلمـــاء الـــذين كـــانوا يقومـــون بالتـــدريس على فـــترات متعاقبة في بعض العلوم.

ولكن ينبغي أن نؤكد أن الشـــيخ محمد رحمه الله له النصـــيب الأوفر في كـــثرة المجــالس وكــثرة القاصــدين له من طلبة

العلم وغزارة العلم وعموم النفع؛ فقد كـان يعمر أكــثر نهــاره بالتــدريس, حيث كــان يجلس ثلاث جلسات منتظمـة: فـالأولى بعد صـلاة الفجر إلى شـروق الشـمس، والثانية بعد ارتفــاع الشــمس مــدة تــتراوح ما بين سـاعتين وأربع سـاعات، والثالثة بعد صـلاة العصــر، وهنــاك جلسة رابعة ولكنها ليست مستمرة وهي بعد صلاة الظهر.

وكل هذه الجلسات كـانت تتم في جـامع الشــيخ عبد الله ابن الشــيخ محمد بن عبد الوهـــاب المعـــروف الآن في (حي دخنة شمال الميدان) ما عدا جلسة الضحى، فقد كــانت في أول الأمر في هــذا الجــامع ثم نقلها إلى بيته.

وكـــان رحمه الله ينقطع بعد المغـــرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كـانت تدرس بعد الفجر، ومنها (الـروض المربـع)، و (سبل السلام)، و (شرح ابن عقيـل) على ألفية ابن مالـــــــك، وما يعين عليها من المراجع.

وفيما يلي عرض للكتب التي كان رحمه الله يقوم بتدريسها:

1- بعد صـــلاة الفجر ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل، وزاد المستقنع مع شــرحه الروض المربع، وبلوغ المرام، والآجروميــة، والملحــة، وقطر النــدى، وعمــدة الأحكـام، وأصــول الأحكــام، والحمويــة، والتدمريــة، ونخبة الفكر.

الثلاثة الأُوَل مســـتمرة وكـــان يقـــوم بتدريســها على ترتيبها المــذكور أما بــاقي الكتب فبالتعـــاقب على فترتا مختلفة طيلة أيام تدريسه.

2- بعد شـــروق الشـــمس يـــدرس في العقائد كتــاب التوحيــد، كشف الشــبهات، ثلاثة الأصول، العقيدة الواسطية باسـتمرار، مســائل التوحيــد، مســائل الجاهليــة، لمعة الاعتقاد، أصول الإيمــان على فـترات، وفي الحـديث: الأربعين النوويــة، عمــدة الأحكـام باســـــتمرار، وفي الفقه آداب المشي إلى الصلاة، وقد يدرس غيرها لكنه نادر.

وبعد الانتهاء من هـذه المختصـرات تقـرأ المطـــــولات ومنهـــــا: فتح المجيد شـــــرح الطحاويــة، شــرح الأربعين النوويــة، صـحيح البخــاري، صــحيح مســلم، الســنن الربــع،

مؤلفات شيخ الإسـلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثـير بـدون اسـتثناء، وكل ما جد من كتب السـلف والمحققين من العلمـاء، ولكنها على فترات يتراوح ما يقـرأ منها في اليوم ما بين خمسة وعشرة غالبًا.

3- بعد صـلاة الظهر ويـدرس فيـه: زاد المسـتنقع بشـرحه الـروض المربـع، بلـوغ المرام.

4- بعد صـلاة العصر ويـدرس فيه كتـاب التوحيد وشرحه، وقد يقرأ في مسند الإمام أحمـد، أو مسـند بن أبي شـيبة، والجـواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أو محوها.

وقد اسـتمر يـزوال التـدريس بنشـاط لا يفـتر وهمة لا تكل إحـدى وأربعين عامًا من عام 1339هـ إلى 1380هـ.

*** طريقته في التدريس:**

كـان رحمه الله يعطي مجـالس العلم حقها من الاحترام والتقـدير، ويحـرص على إيصـال الفائـدة إلى قـرارة قلـوب الطلاب، معنيًا بتثبيتها، حتى إنه ليكـاد يغـني بشـرحه عن المطالعة.

وكـان رحمه الله إذا هم بـالجلوس

للتـدريس توضأ إن لم يكن على وضـوء بعد صلاة، واستقبل القبلة إذا كانت الجلسة في المسـجد، ويبـدأ شـرحه باسم الله والصـلاة والســـــلام على رســـــول الله وعلى آله وصـحبه, ويمكن تلخيص السـمات الظـاهرة لطريقته في التدريس في النقاط التالية:

1- يطلب من بعض الطلاب أن يبـــــــدأ بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله والــــترحم على المؤلـــــف، ثم يتلو حفظًا موضــوع الــدرس إذا كــان الكتــاب متنًــا, ويحـرص جـدًا على أن يحفظ جميع الطلاب المنتظمين المتون ولا يرضى بنصف حفـظ، ولا ينتقل الطـالب من متن إلى متن أطـول منه إلا بعد حفظ الأول وفهمــه، ولــذا كــان الطــــالب المجد منهم يتخـــــرج في ســــبع سنوات.

2- قبل أن يبدأ بالشرح يقـرأ هو ما قـرأ الطلاب.

3- يشرع في شـرح عبـارات المتن بدقة ووضوح.

4- يعرض بعض المسائل ويتكلم عليها.

5- إذا عــــرض لمســـألة خلاف ذكر رأي المؤلف أولاً وأدلته، ثم ذكر رأي المخالفين كلاًّ على حدة، مع دليله.

وكـــان في ذلك كله يحـــترم كل ذي رأي من العلمـــاء ولا يـــذكره بما يســـوء، وكـــان يرجح ما يراه معتمـدًا في ذلك على الـدليل وأقـــوال المحققين, ولم يكن يعــــرض من الخلاف إلا ما كان ذا جدوى.

وقد يصـــحح أحد القـــولين بـــدون ســـرد الأدلة لقصر الوقت أو نظرًا لحال الطالب.

6- كـان يلـتزم بالموضـوع ولا يسـتطرد إلى مسائل خارجة عنه.

7- كان إذا فرغ من الدرس تلقى أسـئلة الطلاب وأجـــــاب، وقد يثـــــير هو بعض الإشكالات ليقدح أذهان الطلاب.

8- يختـــبر الطلاب فيما شـــرح لهم في بعض الأحيـــان بإلقـــاء الأســـئلة عليهم، ويعربون متن ألألفية وشواهدها.

9- فيما يتعلق بالعقائد لم يكن يحـــرص على ذكر آراء أهل البـدع والإشـراك، فـإذا

وجد ضرورة لـذلك، أو كـان المؤلف ذكرها فإنه يتكلم عنها بتوسـع، ويشـتد في الـرد عليهم دون إفراط.

10- وبالنسـبة لقـراءة المطـولات، لم يكن يشرحها عبارة عبـارة، وإنما كـان يقف عند المهم منهـــا، أو ما يســأل عنه أحد الحاضرين.

11- يلـــــزم اللغة العربية في جميع مجالسة العامة.

12- يلتزم الهدوء أثنـاء شـرحه للمتـون، أو تعليقه على المطـولات؛ فلا تـراه يلتفت أو يشير بيد أو يعبث بشيء.

13- لم يكن يســمح بإثـــارة الأســئلة التافهة، أو الدخول في مناقشات عقيمة.

*** أخلاقه:**

لم يصل رحمه الله على ما وصل إليه من مكانة في قلـــوب النـــاس بمجـــرد المصـادفة، ولكنْ مـردُّ ذلك إلى توفيق الله عز وجل أولاً، ثم إلى ما كـان يتحلى به من أخلاق فذَّةٍ الـتزم بهـا، وحافظ عليها طـوال أيامه.

ولا بأس من الإشارة إلى بعض ما نعرفه عنه من الأخلاق الحميدة فمن ذلك:

1- الحافظة النـادرة الـتي كـانت أقـوى سبب في تحصيل ثروة علمية واسعة بـنيت على محفوظاته الـتي علقت بذاكرته أثنـاء تعلمه ومطالعاته أثنـاء تدريسـه، فكـانت الأسـاس القـوي لمقدرته على اسـتنباط الأحكـام، ومعرفة الأدلة الـتي تبـنى عليهـا, وقد مـرَّ بنا أنه حفظ بلـوغ المـرام وزاد المستنقع وغيرهما مما مرَّ ذكره في فَصْلَيْ «شيوخه واشتغاله بالتدريس».

ونزيد هنا أنه كـان يحفظ كثـيرًا من القصـائد المطولـة، وكـان يصف وهو في أُخريـات أيامه مشـاهداته قبل أن يكف بصـره وأنت على علم أنه فقد بصـره في السادسة عشـرة من عمـره، وكـان يحفز المتن للقـراءة الثالثة وربما الثانيـة، وكـانت المعاملة الطويلة الـتي تبلغ ثلاثمائة صـفحة تقـرأ عليه ثم يملي ما يـرى مستحضـرًا كل ما مر فيها من الجزئيـات، ولم يكن غريبًا منه أن يدل القـارئين على مواضع الأبحـاث في كتبها، ذاكرًا رقم الصـفحة أحيانًـا، ومثل ذلك لا يكون إلا لمن آتاه الله ذاكرة واعية.

2- وقد رزق من الـــــذكاء ما مكنه من إدراك محفوظاته العلمية عن فهم وبصيره، وكـــان يـــدرك حقيقة ما يعـــرض عليه من المشكلات؛ فيكشف ما وراءها من الـدوافع ببصيرته الفـذة، ولم يكن ينطل عليه كيد أو احتيـال, وحياته كلها أمثلة من هـذا النـوع لســنا في حاجة إلى الـــدخول في ضـــرب الأمثال لها؛ فأكثر العارفين به يدركون ذلك.

ولكن الذي لا يعرفه كثـير من النـاس أنه رحمه الله كـــان يـــدرك تقـــدير الـــوقت بالســاعة، لا يكــاد يخطئ الحقيقة في بضع دقـائق، مع العلم بأنه لم يسـتعمل السـاعة في حياته.

3- وكــــــان يطيل التأمل والتعمق ويبعد النظر فيما يعـرض عليه من القضـايا الـتي تَجدُّ تباعًا، ولم يكن يتعجل الأمر حتى يمعن في الـــدرس والتأمل والنظر في عـــواقب الأمـور، فكـان يصل بعد ذلك إلى الاسـتنتاج الدقيق الـذي لا يكـاد يختلف ولا يخالفه فيه ذو إنصاف، والأمثلة في هـذا المقـام كثـيرة لكن أسوق منها مثالين:

أحـدهما: أنه سـئل عن افتتـاح حمـام

فني[1] فكتب ما نصه:

(لا أرى فتح مثل هـذا الحمـام في هـذا البلـد، لأن الضـرر سـيكون أكـبر من النفـع، ومثل هذه الأشياء تكون عادة وسيلة لفساد لم يخطر على بـالٍ الـذي أسسـها، ومعها حرصت الآن على مراعـاة الآداب الشـرعية والأخلاقيـة، فإنك لن تسـتطيع ذلك في المستقبل بعد فتح هذا الباب).

ثانيهمـا: أنه سـئل عن إنشـاء صـندوق لسـائقي السـيارات فقـال في الجـواب ما نصه:

(إن اقتراح الذين اقترحوا جعل الصندوق مشروعًا خيريًـا، يحتـاج إلى تقييـد، لأنه وإن كان طرق الخير مفتوحة أمام الراغـبين، إلا أنه ينبغي معرفة ما وراء ذلـك، لئلا تكـون وسـيلة إلى اسـتباحة أشـياء لا تجـوز تحت اسم الشيء المسموح).

4- ومن أخلاقه البـارزة: الإخلاص في العمـل، فلم يكن يومًا طـالب شـهرة، ولا باحثًا عن سـمعة، بل كـان عمله كله لله

---

1 (?) أي حمام بخاري عام. الفتاوى 2/82.

يبتغى ما عنــده، يجتهد في تحــري الحــق، ويجتهد في الدفاع عن الحـق، لا يأخـذه في ذلك ضـعف، ولا يعتريه طمــع، ولم يعــرف عنه أنه تحـــــــدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها.

5- طهـارة قلبـه، فكـان لا يحمل ضـغينة على من أسـاء إليـه، ولا ينتقم من أحد ناله بـأذى، بل كـان ديدنه الصـفح والتجـاوز، بل المحافظة عليهم، والـدفاع عنهم أن ينـالهم أحد بما يعرف أنه باطل.

6- وكـــان رحمه الله على حظ وافر من الشجاعة وقوة الشكيمة، لا يخـاف في الله لومة لائم، ولا يتردد في إعلان الحق أيًّا كان المخـاطب بـه، ودافعه في ذلك مخافة الله وحرصه على أن يخلص ذمته مما علق بهــا، فمكانته ومسؤوليته تحتم عليه نبذ التخاذل، وكان يكره المتملقين، وله في ذلك مواقف حفظها التاريخ.

7- ومن الســمات البــارزة الــتي كــانت تمــيزه ما آتــاه الله من هيبة في نفـــوس النــاس، وهو أمر لا يرجع إلى مخافة منــه، ولكن إلى محبته وإجلاله ومعـــــــرفتهم عنه

صرامته في الحق، يحسب مُحَدِّثُه الحساب الدقيق، حتى لا يزِلَّ في كلمة أو يخطيء في فكرةٍ، ومع ذلك فقد كان أنيسًا عند مخالطته، ألوفًا لمعاشريه، لا يتصف بشيء من الغلظة، أو الغضاضة، وكان يحسن الفرق بين مجالس الجد والعمل، ومجالس الراحة حيث يكون في سفر أو نزهة.

8- وكان يتنزه عن الغيبة والحديث عن الآخرين بما يكرهون، وعرف بذلك منذ حداثة سنة حتى فارق الدنيا، ولم يكن يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين، أو تنقصهم، بل كان يقف دون ذلك ويزجر من حاوله.

9- ومما لا يعرفه الكثيرون عنه، ما يتصف به رحمه الله من العفة والتورع عن أخذ ما ليس له، أو ما يرى فيه شبهة، فكان حريصًا على أن لا يدخل نفسه في مداخل مشتبهة، ولم يعرف أنه اشتغل بالبيع أو الشراء، لا بالاستقلال ولا بالمشاركة، بل كان مقتصرًا على ما يتقاضاه مقابل عمله، بل إنه كان يشغل عدة أعمال كما هو معروف، لا يتقاضى إلا ما كان يأخذه قبل

إحداث هذه الأعمـال، ولم يكن يأخذ انتـدابًا مقابل انتقاله إلى مدينة الطائف صيفًا، ولم أعـرف عنه أنه طلب من المسـئولين شـيئًا يخصه.

10- ومما لا ينكر من أخلاقه الظـــاهرة للعيـان، كراهيته الشـديدة للمـديح والثنـاء عليـــه، فما كـــان يرضى من أحد أن يثـــني عليـه، أو يبـالغ في مدحـه، سـواء كـان ذلك مشافهة أو كتابة.

ومن الأمثلة التي تذكر في هـذا المقـام: ما كتب به إلى أحد النــــاس ونصـــــه: «ملحوظـــة: كثـــيرًا ما تكتب في خطاباتك ألقابًا لا يسوغ ذكرها؛ كقولك شـيخ الإسـلام ومفتى الأنام، وهذا شيءٌ لا نرضاه».

وكتب في مناسـبة أخـرى ما نصـه: «وما ذكـــرتم في خطـــابكم من الثنـــاء، نـــود ألا نسمعه, فنحن نستغفر الله ونتـوب إليه من تقصـيرنا وضـعفنا، نسـأله تعـالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه».

وكتب لآخر ما نصـه: «نفيـدكم أنه جـاء في خطـابكم بعض العبـارات، مثل قـولكم:

عـالم الوجـود، تلك العبـارة الـتي لا يصـدر مثلها إلا عن جاهل».

11- وكـــان رحمه الله معروفًا بالبـــذل والســـخاء في الحـــدود الـــتي لا تصل إلى المبالغة المكروهة شـــــرعًا، والمؤدية إلى الإســراف، وإضــاعة الــوقت، وبــالأخص ما يتعلق بإكرام العلماء والقضاء وطلاب العلم وذوي رحمه, وكان لا يترك مناسبة مهمة إلا أقام لها الوليمة الكبيرة ودعاهم.

12- خشــيته للـــه: كــان رحمه الله من أكثر الناس استحضارًا لعظمة الله، كثيرًا ما تســـــمعه يلهج بـــذكر الله والاســـــتغفار، وتغــرورق عينــاه بالــدموع حينما يكــون في موقف مناجـــاة اللـــه، أو يســـمع بعض ما يحرك القلوب، ولقد كـان ذلك يتجلى كثـيرًا فيما يحييه من الليل بالصـــلاة الـــتي كـــان يـــواظب عليها في إقامته وســـفره، وقد لا يعرف هذا كثير من الناس الـذين لا يتصـلوا بــه، وقد صـحبته زمنًا طـويلاً وهو يقـوم ما يقرب من ساعة ونصف آخر الليل، لا يـترك ذلك.

ولا غرو, فقد كان رحمه الله يتحــرى في

جميع تصــرفاته وأخلاقه الظـاهرة والباطنة التأسي بـالنبي ﷺ، وصـحابته، وسـلف هـذه الأمة رضوان الله عليهم.

*** الأعمال التي قام بها:**

عرفنا في مناسبات كثيرة مما مضى في هــــذه الترجمة أنه رحمه الله باشر العمل منذ وفاة عمه عبد الله رحمه الله، وقد كان العمل الرئيسي الذي شمل أكثر أيـام حياته هو (التــدريس) وقد تحــدثنا عنه في فصل خاصٍ لما له من الأهمية.

على أنه صـاحَبَ التـدريس مهمـةٌ أخـرى بــدأت دون تنظيم رســمي وهي (الفتــوى) فقد كـان يشـارك فيها حـتى تـوفى الشـيخ سعد بن عتيق، ثم استقبل بها حتى تحـولت بـــآخرة إلى عمل منظم في دار الإفتـــاء، حيث أنشئت في عام 1374هـ.

وظل رحمه الله يقوم بـالفتوى من خلال هذه الدار، حتى وافته المنية، إلى جـانب ما كـان يكتبه في هـذا الميـدان في بيتـه، من فتاوى، وردود على بعض الكاتبين في قضايا

يــرى بثــاقب بصــيرته أن الســكوت عليها مسؤولية أمـام إلى جـانب هـذين الأمـرين، هنــاك أمر ثــالث لا يقل خطــرًا عنهما وهو (القضاء) فقد كـان رحمه الله يقـوم بتميـيز الأحكام التي تحتاج إلى نظــره، وينظر فيما أحيل إليه من القضايا بأمر من ولاة الأمور.

ولما حــول القضــاء نظــرًا لاتســاعه إلى رئاسة، أسندت إليه رئاسته في المنطقــتين الوسطى والشــرقية في عــام 1376هـ، ثم ضمت إليه المنطقة الغربية بعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله في عـــــــام 1378هـ، وقد نصت المـادة الحادية عشـرة من نظام هيئة التمييز أن له رحمه الله حق النظر والبت فيما يختلف فيه القاضي وهيئة التمييز.

وإلى جانب ذلك كله ورغم ما كان يحمله من أعباء فقد تولى (رئاسة المعاهد العلمية والكليات) منذ إنشائها عام 1370هـ, ووُكل إليه الإشــراف على (مــدارس البنــات) منذ افتتاحها في عام 1379هـ.

وكلف برئاسة (الجامعة الإســـلامية) في المدينة المنــورة عــام 1381هـــ. وتــولى

رئاسة (مجلس القضــاء) الــذي شــكل في عام 1388هـ وعقد في حياته مرتين, وولي رئاسة (رابطة العــــالم الإســــلامي) منذ إنشائها في عام 1379هـ وإمامة جـامع حي الدخنة وخطابة المسـجد الكبـير المعـروف الآن (في ساحة العدل الرياض).

وشــكل هيئة تضم كبــار العلمــاء لتكــون مرجعًا لبحث ما يحصل من المشــــــاكل العلمية العويصــة، وتقرير ما يلــزم حيالهــا، وللمــــذاكرة فيما بينهم، والتصــــدي لنشر الــدعوة الإســلامية والــذود عنهــا، ومحاربة التيارات الجارفة والمبادئ الهدامة.

وبعبــارة عامــة: فقد كــان له رحمه الله الإشــــراف التــــام على جميع الشــــؤون الإســـــــلامية داخل المملكة وخارجها مما يتصل بالمملكة العربية الســعودية وتعــنى بتوجيهه.

ومثل هــذا لا يقــوم به العــالم العــادي، ولكن من آتاه الله القــوة والجلــد، وإن ذلك ليدل على ثقة الناس، وبخاصة أولياء الأمور في حصـافة عقلـه، وسـعة علمـه، ومقدرته الفذة، وحاجتهم إليه في كل ما يعـرض لهم

من المشكلات.

*** تلاميذه:**

لا أظن أن من يعرفه رحمه الله يخفى عليه أمر الذين أخذوا عنه العلم واستفادوا منه الفائدة الكبرى, ولا أظن ذلك يخفى على من عرف المدة الطويلة التي قضاها يشتغل بالتدريس، فقد مر به أفواج بعد أفواج، ينهلون من علمه، ويستنيرون بثاقب نظره، وقد انتشروا في أنحاء المملكة العربية السعودية بين عالم وقاض ومدرس وواعظ وخطيب مسجد ومتفرغ من الأعمال، ولا أظن أن الحصر قادر على أن يأتي على جميع أسمائهم لذلك فإني أكتفي بعرض أسماء طائفة منهم وهم:

- الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد	رئيس المجلس الأعلى للقضاء حاليًا
- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم	صاحب المؤلفات المشهورة
- الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد	رئيس محكمة هيئة التمييز حاليًا
- الشيخ سعود بن رشود	قاضي الرياض سابقًا
- الشيخ صالح بن غصون	عضو هيئة التمييز حاليًا
- الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم	شقيق المترجم الفرضي المشهور
- الشيخ عبد الملك بن إبراهيم	شقيق رئيس هيئات الأمر بالمعروف في المنطقة الغربية سابقًا
- الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد	نجل سماحته رئيس هيئات الأمر بالمعروف حاليًا
- الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد	نجل سماحته وزير العدل حاليًا
- الشيخ عبد الرحمن	قاض بمحكمة

بن فارس	الرياض حاليًا
- الشـــيخ محمد بن مهيزع	قــــــــاض بمحكمة الرياض سابقًا
- الشيخ عبد الرحمن بن هويمل	قــــــــاض بمحكمة الرياض سابقًا
- الشــيخ عبد العزيز بن زاحم	قــــــــاض بمحكمة الرياض
- الشيخ عبد الرحمن بن سحمان	قاض بمحكمة الدلم
- الشــيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد	
- الأمـــــير محمد بن عبد العزيز بن سعود آل سعود	
- الشـيخ عبد الله بن عقيل	عضو المجلس الأعلى للقضاء
- الشـيخ عبد الله بن غديان	عضو الهيئة الدائمة للإفتاء
- الشـيخ عبد الله بن عبد الـــــرحمن بن	مـــــــــدرس بكلية الشريعة

جبرين	
- الشيخ فهد بن حمين	مدرسة بكلية أصول الدين
- الشيخ حمود بن عقلاء	مدرس بكلية الشريعة
- الشيخ عبد الرحمن بن فريان	
- الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض	

*** آثاره:**

لم تكن في حياته رحمه الله فرصة يتفرغ فيها للتأليف، فقد كان انشغاله بما علمت من الأعمال التي وصفناها قبل لا تدع فرصة للراحة؛ إذ كان عمله يستمر أحيانًا إلى الساعة الخامسة ليلاً (بالتوقيت الغروبي)، فضلاً عن أن تدع له فرصة يفرغ فيها ذهنه، ويرجع إلى المراجع فيكتب وينشر، كما نراه لكثير من أهل العصر، ولأنه رحمه الله لم يكن بالشخص الذي يكتب كل ما عَنَّ له بل كان كما وصفناه، طويل التأمل، شديد المحاسبة لنفسه،

ومســـــئوليته تحتم عليه أن لا يكتب إلا بعد تحر طويـــل؛ لأن كلمة منه تعد حجة يتعلق بها العامة والخاصة، ومع ذلك فإن حياته لم تخل من كثير من الرسـائل والفتـاوى الـتي كتبها في مناسبات مختلفة.

على أن أَجــلَّ أثر من آثـــاره هـــذا الأثر الكبير الذي نقدمه هذا اليوم، والمتمثل في فتاواه الـتي بلغت (عشـرة أجـزاء)[1] لو لم يكن له أثر ســواها لكفى به فخــرًا لم يصل إليه غـــيره من أهل عصــــره, ومما ينبغي التنويه عنه من آثـاره أنه اختـار ألف حـديث في أبواب مختلفة.

*** مرضه الأخير ووفاته:**

في عـــام 1389هـــ نـــزل به رحمه الله مـــرض ســـافر من أجله إلى لنـــدن للعلاج، فأقـــام بها أيامًـــا، ثم عـــاد دون أن يُكتب له الشـفاء، فلـزم الـبيت وأخذ المـرض يشـتد يومًا بعد يوم، ولم يثمر ما بذل له من عناية طبية حـــتى دخل في غيبوبه تامة انتهت به إلى الوفاة في 14/9/1389هـ.

---

1 (?) بلغت بعد الطباعة مع الفهارس أربعة عشر جزءا.

وكـــان طيلة مرضه يكـــثر من ذكر الله والاستغفار حتى أخذته الغيبوبـة, وقد صُـلِّيَ عليه في المسـجد الجـامع الكبـير مع صـلاة الظهر، وأَمَّ الناس فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن بـاز وحضر الصـلاة جمع جم ضاق بهم المسجد على سعته، وصلى كثـير منهم خــارج المســجد، وانســدت الطــرق بالســيارات والمشـــاة، ولم يكن بين وفاته والصـلاة عليه إلا سـاعتان، وتبعه المصـلون إلى مقبرة العود حيث ووري هناك.

تغمد الله شــيخنا برحمتــه، وســدد خطا خلفائـه، ونفع بعلومـه، وجعل عملنا خالصًـا لوجهه، إنه سميع قريب مجيب.

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

22 ربيع الأول 1399هـ - الرياض

*** * * ***

الفهــرس

* * * *